# السّرد الذّاتيّ في حديث الإفك-مقاربة بلاغيّة حجاجيّة

# Self-Narration in Hadith of Ifk - A Rhetorical-Argumentative Approach

**عيسى حميش***

**جامعة غرداية-الجزائر hamiche.aissa@univ-ghardaia.dz**

| تاريخ الإرسال: | تاريخ القبول: | تاريخ النشر: |
|---|---|---|
| 2023-07-31 | 2026-06-15 | 2026-06-30 |

**ملخّص:** تسعى هذه الورقة البحثيّة الموسومة بـ:" السّرد الذّاتيّ في حديث الإفك-مقاربة بلاغيّة حجاجيّة" إلى محاولة الكشف عن الطّبيعة الحجاجيّة لمختلف تقنيات وأساليب السّرد، وكيفيات اشتغال الأخيرة حجاجيًّا؛ وذلك من خلال إظهار علاقات التواشج بين نظامي السّرد والحجاج، كما تسعى لإجلاء المنطق الخفي الذي يحكم السّيرورة السّردية في حديث الإفك بنيةً وتداولًا.

لقد مكّن التّحليل التداوليّ المتوسّل بآليتي الوصف والتّحليل لخطاب حديث الإفك، من التّوصل لجملة من النّتائج لعلّ أهمّها انطواء السّرد الذّاتي في خطاب الإفك على أبعاد حجاجيّة غاية في الإقناعية بحكم انتمائه للسّرد الكلاسيكيّ الذّي يتأسّس ضمن مقامات تواصليّة حقيقيّة لدي السّارد نيّة التّأثير في المسرود لهم.

**كلمات مفتاحيّة:** سرد؛ خطاب حديث الإفك؛ إيتوس؛ حجج.

**Abstract:** This research paper which is entitled: "Self-Narration in Hadith of Ifk - A Rhetorical-Argumentative Approach" ( the Hadith of the false accusation) seeks to try to reveal the argumentative nature of the various techniques and methods of narration, and the modalities of the latter's argumentative functioning by showing the interdependence relations between the two systems of narration and argumentation, and it also seeks to reveal the hidden logic that governs the narrative process in 'Hadith Al-Ifk 'in structurally and pragmatically.

* المؤلف المرسل

The pragmatic analysis using the two mechanisms of description and analysis of the discourse of 'Hadeeth Al-Ifk' enabled it to reach a number of results, perhaps the most important of which is that the self-narration in Hadith Al-ifk involves highly persuasive argumentative dimensions by virtue of its affiliation with the classical narrative, which is established within real communicative positions that the narrator has the intention of influencing the one narrated to them.

**Keywords:** Narration; Hadith al- Ifk Discourse; Ethos; Argument.

**1–المقدّمة:** أثارت مسألة مقاربة النّصوص الأدبيّة الإبداعية سواء النّثرية أو الشّعرية وتحليلها حجاجيًّا نقاشًا بين جمع من المتخصّصين المشتغلين بحقل البلاغة وتحليل الخطاب عبر مسارات التّاريخ، وموضع الخلاف نابع من تمييزهم بين الخطابات من حيث الوظيفة التي يضطلع كلّ خطاب بآدائها؛ ففي الوقت الذّي يتقصّد الخَطابي الحجاج والإقناع، يتطلّع الإبداعيّ إلى التأثير والتّخييل؛ وعلى هذا الأساس فإنّ مقاربة الحديث الشّريف–بوصفه خطابًا شرعيًّا سرديًّا– مقاربة حجاجيّة ومحاولة إظهار كفاءته الإقناعية بالكشف عن الأبعاد الحجاجية الثّاوية في مفاصله لهو مغامرة غير محمودة العواقب؛ لأنّه يدفع الباحث إلى إيجاد مسوّغات مقنعة لسلوكه هذا السبيل، فضلا عن أنّ الدّراسة الحجاجيّة في كل الخطابات السّردية مطالبة أن تأخذ بعين الاعتبار الخصوصيّة الجمالية لهذه الخطابات.

تأتي دراستنا هذه الموسومة بـ: "السّرد الذاتي في حديث الإفك–مقاربة بلاغية حجاجيّة" لينصرف الجهد التحليلي فيها إلى بيان عناصر الإقناع في خطاب حديث الإفك، وكيف انطوى الخطاب السّرديّ للسّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها على أبعادٍ حجاجيّة تمثّلتها دفاعًا عن نفسها، وبيانًا لبراءتها، وذلك بالوقوف عند السياق التداولي للخطاب، أخلاق الشخصيات وانفعالاتها (الإيتوس والباتوس)، بالإضافة إلى التقنيات الحجاجية التي تضمنها الخطاب (اللوغوس).

تثير مقاربتنا لنصّ حديث الإفك بهذا التّصوّر إشكالية رئيسة هي:

كيف نجحت السّيّدة عائشة رضي الله عنها في إثبات براءتها ودحضّ ادّعاءات من تناولها في عرضها من خلال حديث الإفك الذي اضطلعت هي نفسها بسرده؟

تنبثق عن هذه الإشكالية جملة من الإشكاليّات الفرعيّة لعلّ أهمّها:

- كيف تشكّلت صور الشّخصيات في خطاب حديث الإفك؟
- هل للبنى السّرديّة والأساليب والتّقنيات السّرديّة دور في الحجاج؟
- كيف يشتغل الحجاج إجرائيّا في نصّ سرديّ يضطلع أساسًا بالوظيفة التخييلية؟

في سبيل الإجابة عن هذه الإشكاليات توسّلت الدّراسة بمنهج تداولي يستند إلى تقنيتي الوصف والتّحليل كإجرائين مساعدين، وافترضت فرضيّةً مُفاداه: إنّ الخطاب السّردي في صورة خطاب حديث الإفك خطاب بالغ الإقناعيّة كلّ بنية فيه وكلّ تقنية منه تنطوي على أبعاد حجاجيّة، كما افترضت أنّ السّيدة عائشة رضي الله عنها نجحت في إثبات براءتها ودحضّ ادّعاءات من تناولها في عرضها بالاستعانة بالسّرد منظورًا إليه من زاوية تعنى بالحجاج.

**2-في العلاقة بين السّرد والحجاج:** إنّ تموضع الخطابات النّبويّة السّرديّة -وخطاب حديث الإفك واحد منها- على اختلاف مضامينها الفكريّة، وتعدّد أطرافها، وتنوّع ظروفها السّياقية ضمن مواقف تواصليّة واقعيّة محسوسة موحّدة قوامها الدّعائم التّداولية الثّلاثة؛ السّارد، المسرود له، والخطاب السّرديّ مدعاةٌ للنّظر في إمكانية الحديث عن الحجاج في الخطاب السّردي، انطلاقًا من قضيتين أولاهما: أنّ السّارد - شأنه شأن أيّ باثّ في أيّ موقف تواصليّ- يرقب إثارة بعض الأفعال الانفعالية والعقلية في المتلقّي[1]، وثانيتهما أن للحجاج مفهومًا أوسع من كونه سعيًا لإيقاع التّصديق بدعوى ما؛ مفهومًا يجعل من مجرّد التّوجّه إلى متلقٍّ ما في سياق ما؛ بقصد تغيير نظرته، أو مشاعره، أو مواقفه وسلوكاته حجاجًا، استنادًا إلى فكرة مؤدّاها أن لا وجود لخطاب بريء لا ينزع الباثّ من ورائه إلى أيّ قصد، فالحجاج نابع من اللّغة، متضمّن فيها وفق ما ترافع له

نظرية الحجاج في اللغة؛ فكلّ خطاب أدبي مهما كان جنسه؛ شعرًا أو نثرًا يحتوي في بنيته شيئًا من الحجاج بما يحمله من قيم تداولية،" فالحجاج هنا ظاهرة لغويّة نجدها في كلّ قول وفي كلّ خطاب، سواء أكان الخطاب فلسفيًا، أو أدبيًّا، أو دينيًا، أو اقتصاديًّا أو سياسيًا .."[2]، والحاصل أنّ قصد السّرد مندرج ضمن القصدية الحجاجيّة؛ لأنّنا حينما نتوجّه إلى الأخر فإنّنا ننشد التأثير. بالإضافة إلى هذا، فإنّ الوظيفة الإقناعية هي إحدى الوظائف التّي يضطلع الخطاب السّرديّ بآدائها، فضلا عن الوظيفة الانطباعية التّأثيرية التّي يحرص فيها الرّاوي على التّعبير عن عواطفه وأفكاره ومشاعره، وهو يتبوّأ المكانة المركزيّة،[3] وبهذا التصور يغدو" السرد صيغة تعبيريّة حسّيّة لتوصيل مضمون عقلي"[4].

إنّ الحديث عن علاقة السّرد بالحجاج والمرافعة لوجود علاقات تواشج بينهما ليس وليد الدّراسات السّردية الحجاجية، بل هو منتهاه؛ إذ المبتدأ قديم منذ عهود البلاغة الكلاسيكيّة التي جعلت السّرد جزءًا أصيلًا، ومكوّنًا على قدر عالٍ من الأهمّية من مكوّنات الخطاب الإقناعي؛ فالسرد " يشكّل مرحلة مهمة جدّا في الخطاب...تتحدّد في عرض الوقائع وتفترض في الخطيب الكفاءة السّردية والوصفية"[5] على أنّ السّرد المقصود ليس حكيًا بمفهومه التّقليدي، بل إجراء حجاجيّ يخدم الفعالية الحجاجيّة، ويؤشّر لقصديّة إقناعيّة من خلال انطوائه على محاججات مضمرة تثير خيال المسرود له وعقله؛ لأنّ أنجع الحجاج "هو ذاك الذي يكون فيه المعنى مختفيًا، وحيث الأدلّة موزّعة على شكل أصول غير واضحة (بذور تصديقات)"[6]يقول ر.**بارت**:"السرد(الحكي) بكل تأكيد هو قص الأحداث المدرجة في القضية...، ولكن هذا القصّ متلقّى فقط من جهة الدّليل، إنّه "العرض الإقناعيّ لشيء قد وقع أو متصوّر أنه قد وقع. وليس السرد إذن قصًّا... إنّما هو تقديم حجاجيّ"[7].

تشكّل محاولة إيجاد موقع للحجاج في الخطاب السّردي سانحة ضرورية من أجل التمييز بين البعد الحجاجي والغرض الحجاجي، فالخطابات السردية الكلاسيكية خطابات حجاجية قطعًا بحكم ارتباطها بمقامات تواصلية حقيقية، لدى السّارد نية التّأثير في المسرود له؛ والآتي أن غرضها حجاجي، أمّا النّصوص السردية الحديثة كالرّواية –مثلًا– فإنها سردية تخييلية تتضمن وظيفة إقناعية مضمرة هي ما نسميه البعد الحجاجي[8].

مثّلت قضية تداخل الخطاب السّردي بالحجاجي المذكورة آنفًا إطارًا عامّا لبحث جدوى مقاربة خطاب حديث الإفك مقاربة حجاجية، بالنظر أوّلًا إلى أنّه نصّ تراثيّ أغفلته الدراسات الحجاجيّة، أو تغافلت عنه، وثانيًا، بالنظر إلى توفّره على بنية حجاجيّة غاية في الإقناعية بحكم الموضوع والوقائع التّي ينقلها السّرد، وثالثًا بحكم تأثير الواقعة في المجتمع الإسلامي، وما أحدثته من بلبلة واضطراب مازالت آثارهما بادية الأثر عيانًا، بلبلة تمخّض عنها انقسام الناس إلى فريقين؛ مؤمنين وكفّار.

**2-السّياق التداولي لخطاب حديث الإفك:** كان من عادة **النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم** أن يقرع بين أزواجه إذا همّ بالخروج في غزوة من المغازي، وجاء شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة، فتجهّز **النّبي** صلّى **اللّه عليه** وسلّم لغزوة بني المصطلق، فأقرع بين نسائه، فأصابت القرعة السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها، فلما رجع الجيش من الغزوة ونزل في بعض المنازل، خرجت **عائشة** رضي اللّه عنها لحاجتها، ففقدت عقدًا لأختها كانت أعارتها إيّاه، فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه، فارتحل النّاس ولم ينتبهوا لها، فلما رجعت إلى المنزل الذي كانوا فيه، وجلست تنتظر عودتهم إليها إذا هم ما افتقدوها، أدركها **صفوان بن المعطّل**، فحملها على راحلته حتى قدم بها منزل الجيش الجديد؛ فتنفّس مَن تولّى كبره النّفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك، ويستوشيه ويشيعه، ويجمعه ويفرّقه[9]، فلمّا نزل الوحي ببراءة السّيدة **عائشة** رضي اللّه

عنها بزمن[10]، استرجعت ما جرى من أحداث، ونقل الخبر عنها جمع من الرّواة أولهم **عروة بن الزبير** ابن أختها **أسماء** رضي اللّه عنهما.

**3–السّياق التّداولي لحديث الإفك:** يتأطّر خطاب حديث الإفك –بعدّه خطابًا تداوليًا– ضمن الإطار التواصلي البلاغيّ، السّارد فيه هو السّيدة عائشةرضي اللّه عنها، والمسرود له هو ابن أختها عروة بن الزّبير، ومن ورائه جمع من المتلّقين يتجاوزون الإحصاء والعدّ، ويتعالون عن الأزمنة والأمكنة، وأمّا الخطاب السّردي فهو مندرج ضمن القصدية الحجاجيَة، ومسخّر لغاية تداوليّة هي إثبات براءة السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها؛ فهي ومن خلال روايتها للحادثة بتفاصيلها تتقصّد إطلاع المسرود لهم بتجربتها؛ إظهارًا لبراءتها، وإثباتًا لطهرها ولعفّتها، وليس هذا الإطلاع ونقل الوقائع لمجرّد الإطلاع ونقل الوقائع بالمفهوم الرّوائي بل من ورائه سعي لإقناع الآخر بفكرة البراءة، ودفع له لتبنّيها سواء أكان مسلما مصدّقًا، أم متولّيًا كبره طاعنًا كافرًا، والثّاني أخصّ، فإذا كان الأوّل مسلّمًا بصدقية الرّواية، وصدق الصّدّيقة، شرعًا وعقلًا، خضوعًا لسلطة الخطاب القرآنيّ الذي حسم المسألة، وأظهر الحقّ، فإنّ الثّاني منكر جاحد يستدعي إقناعه حشد طائفة من التقنيات الحجاجية، والاستراتيجيات الإقناعية من أجل حمله على الاقتناع بالرواية، وتحقيق النجاعة اللّفظية المنشودة؛ إذن فنصّ الحديث يبتغي الاستدلال، ويتغيّا الإقناع.

**4–حجاجيّة الشّخصيات أو من أخلاق الباثّين إلى انفعالات المتلقّين:** تعدّ الشّخصيّة أهمّ عناصر الخطاب السّردي؛ فهي موضوع القضيّة السّردية، وبها يناط الحكي ويتحقّق، وعلى الرّغم من ذلك إلّا أنّها الأكثر غموضًا، والأشدّ ضبابيّة، بحكم قلّة الاهتمام التي يوليها النّقاد لها، والشّخصية في عرف النّقاد المهتمّين بمجال السّرديّات كائن ورقيّ لا يوجد خارج الكلمات، تبدأ مع السّرد وتنتهي بانتهائه[11]، إنها" مجموع

الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال حكي"[12]، ومعنى هذا أن الشخصيّة هي الصّورة التي ينحتها السّارد لنفسه، ولغيره من الشخصيات التي معه في الخطاب، وهذا المفهوم قريب جدًّا من مفهوم الإيتوس بعدّه أحد أهمّ الحجج الصناعية التي تحقّق الإقناع؛ إذ حدّه" صفات الخطيب... [أو]سمات الطّبع التي ينبغي للخطيب أن يظهر به أمام المشاهدين ( كيفما كان صدقه) من أجل أن يترك انطباعًا حسنًا"[13]، فالخطيب/ السارد وهو ينقل الأحداث والوقائع يبني صورته الذهنية في نفس المخاطب/ المسرود لهم بصورة إيحائية غير مباشرة، فيحقّق النجاعة الخطابية، والإقناع بقدر قبول الأخير له، وثقته به؛ فلا جدوى ولا نجاعة ترتجى من خطاب شديد الإقناعية أخلاق قائله لا تحظى بالمصداقية عند العامة، إما لعدم سداد رأيه، أو شرارته، أو كراهيته لغيره؛ لذلك اشترط أرسطو على الخطيب أن يتحلّى بخصال ثلاثة تجعله موضع قبول عاطفي عند المتلقّي خلال بث الخطاب، حيث يقول: "وقد يكون المتكلّمون مصدّقين لعلل ثلاث: لأنّا قد نصدّق من قبل هذه الثّلاثة الأوجه كلّها دون التّثبّت، وهي: اللّب، الفضيلة، والألفة، فقد يكذب جميع الواصفين أو المشيرين إمّا من أجل عدم هذه العلل أجمع، وإما من أجل عدم شيءٍ منها"[14]

حفل خطابنا بحضور كثيف لشخصيات اختلفت أدوارها السّردية، وتنوّعت تصنيفاتها الشّكلية، وتباينت صفاتها الخُلُقيّة، لكن الذي يعنينا في المقام الأوّل هي الشّخصيات الأساسيّة ممن أنيطت بها أدوار أساسية وكان مدار الأمر عليها، ويتعلّق الأمر بالسّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها، **وصفوان بن المعطّل** رضي اللّه عنه.

شكّل السّرد على امتداد خطاب حديث الإفك ميدانًا تواترت فيه صفات صلاح السّيّدة **عائشة** رضي اللّه عنها، صفات شكّلت تراتبيتها ملامح صورة الذّات وهويتها الخطابية (الإيتوس الخطابي) التي جاءت متفاعلة مع صورتها الاجتماعية (الإيتوس قبل الخطابي) التي يرسمها المسرود لهم عنها قبل الخطاب؛ فقد عُرفت السّيدة **عائشة**

رضي اللّه عنها، بأنّها زوج النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في الدنيا والآخرة، وما كان له عليه السلام أن يتزوج إلّا طيّبة، نالت من الشرف أسناه، ومن المكرمات منتهاها؛ فهي الصادقة بنت الصّديق، كانت أفقه النّاس، وأعلمهم، وأحسنهم رأيا في العامّة، عالمة بالطبّ والشّعر، إلى الحدّ الذي قيل فيها: "لو جمع علم **عائشة** إلى علم جميع أزواج **النّبي** صلّى اللّه عليه وسلّم، وعلم جميع النّساء لكان علم **عائشة** أفضل"[15]، هذه الملامح وغيرها من ملامح الصّلاح هي التي انطبعت في ثنايا خطاب الحديث خادمة للقضيّة الحجاجيّة التّي ترافع السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها من أجلها؛ فـ"الصّالحون هم المصدَّقون سريعًا بالأكثر في الأمور الظاهرة"[16].

إنّ ما يعزّز من الكفاءة الإقناعية للخطاب هو توافق الصورة الخطابية مع الصورة ما قبل الخطابية؛ وهو ما يعني انبناء الخطاب السّردي الحجاجي على أرضية صلبة؛ فتغدو صورة الشخصية الجديدة بمثابة الإثبات للصورة السابقة، وبمثابة الاستدلال المنطقي الذي لا يأخذ الصبغة البرهانية بأيّ حال من الأحوال.

لقد ظهرت السيدة **عائشة** رضي اللّه عنها في ثنايا السّرد وفق إيتوسات صغرى تنبثق عن إيتوس أكبر هو إيتوس الصلاح والبراءة الذي يقوّض الصّورة السلبية التي رماها بها المنافقون؛ فقد ظهرت في صورة شابة في مقتبل العمر بريئة براءة الجواري، لم تخبر من الحياة شيئًا، ولم ترَ غير النبل والخير؛ وهذا ما يتجلّى في قولها:" وَكُنتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ"[17]ولم يكن هذا الحديث حديثها هي عن نفسها فحسب، بل كان شهادة أمينة سرّها، وأقرب الناس إليها شهادة خادمتها **بريرة** يوم سألها النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم إن كان رابها من **عائشة** شيء، لتردّ:" لَا وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ"[18]، فهي لم تجد شيئًا تعيبها به سوى أنّها تغفل عن العجين فتأكلّه الشاة، وهذا ما سيدفعنا لطرح تساؤل سيتكرّر مع كلّ تزكية تحظى بها السّيدة **عائشة**،

ومع كلّ ملمح من ملامح العفة والطّهر يستجلى من الحديث؛ كيف للجارية التي مازال النوم يغلبها والغفلة عن العجين تغمرها لبراءةٍ في طبعها، وطيبة في نفسها أن يخالط قبلها هوى محرّم، أو لذّة لم تشرع؟

لم تكن شهادة بريرة في **عائشة** رضي اللّه عنها ببراءتها الشهادة الوحيدة، بل شهادة كلّ من عرفها؛ أقارب وأباعد، رجالًا ونساءً، جواري وحرائرَ، فها هي **أم مسطح** تنسبها للبله، وقلة الحيلة بمكايد الناس وشرورهم، وهي تخاطبها: " أَيْ هَنْتَاهُ، أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟"[19]، وذلك من فرط ما رأت منها من البعد عما يجري من حولها، وهي المعنيّة الأولى بما يدور من أحداث، وما يتردّد من كلام، وها هو **أسامة بن زيد** رضي اللّه عنه يشير على النبي عليه الصلاة والسلام بما عرف من براءة السّيّدة عائشة حين استأمره **وعليًّا** رضي اللّه عنه في فراق أهله حيث قال:" يَا رَسُولَ الله أَهْلُكَ وَمَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا"[20]، فهو لم يعرف عن الصّديقة إلّا الخير والصلاح، وهو ذات الموقف، وهي الشهادة نفسها التّي شهدتها السّيدة **زينب بنت جحش** في **عائشة** رضي اللّه عنها؛ إذ تقول: "أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا"[21] على الرّغم من كونها ضرّتها، وهي التي كانت تساميها من ضرائرها، وتطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي صلّى اللّه عليه وسلّم ما تطلبه **عائشة** رضي اللّه عنها، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لعائشة عنده، فعلى الرغم من أنّ عادة الضرائر الكيد، إلّا أنها ما استغلّت قضية التنافس لإسقاط جارتها، والإضرار بضرّتها، فقالت هذه المقولة العظيمة بكل تجرّد وإنصاف، وحتى عليّ رضي اللّه عنه، لم يغمط السّيّدة **عائشة** فضلها، ولم يتّهمها في براءتها، حتّى وإن كان قد أشار على النبي صلى الله عليه باستخلافها والزواج من غيرها؛ لأنّه هو من أشار عليه بسؤال **بريرة** في قوله:" لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ"[22] وبذاك الرأي أخذ النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، وعليه بنى موقفه، وأرسل شهادته مستعذرًا من رأس المنافقين،

وكبير الطّاعنين **عبد الله بن أبي سلول** قائلًا:"يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا "[23]، فالنبي الكريم يشهد شهادة البراءة في السّيدة وهو أقرب الناس إليها، وأعرفهم بها.

لم تكن الشّهادات في حقّ السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها بما حملته من ملامح العفاف والطّهر المصدر الوحيد لبراءتها، فقد حملت أقوال الشهود في ثناياها ما يوجه الخطاب الوجهة الحجاجيّة؛ إذ اشتركت في اشتمالها على عامل حجاجيّ يؤدّي إعماله إلى الربط بين المتغيّرات الحجاجيّة للملفوظ وحصرها خدمة للنّتيجة التي يرجوها السّارد، وهذا العامل هو عامل القصر: "ما ... إلّا" الذي استثمرته السيّدة عائشة بصفتها ساردة على لسان الشخصيات المشاركة في بناء السّرد، في محاولة منها للدفاع عن قضية البراءة التي تعتقد بها وتريد من الآخر الاقتناع بها [24]، ذلك أن إعمال عوامل النفي والاستثناء في ملفوظ معين يؤدي إلى "القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج؛ وذلك بنقل المتقبّل من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ؛ فلا يضيع بين النتائج التي يؤدي إليها القول (الحجة)، ولا تتعدد تبعا لذلك المسالك التأويلية ((25)) وبهذا يتقوى التّوجيه نحو النتيجة وتتدعّم طاقته الإقناعية، حتى إنّها لتتنزل منزلة البرهان الذي لا يُردّ ولا يدحض، فلا يبقى أمام المسرود له الطّاعن المنكر والشّاك إلا الإذعان والتسليم بدعوى البراءة.

ظهر عامل القصر" ما ... إلّا" في خطبته صلّى اللّه عليه وسلّم، وفي شهادة **أسامة بن زيد** وفي تزكية **زينب بنت جحش** رضي اللّه عنهما بصيغة واحدة بل بلفظ يكاد يكون واحدًا صيغته الحجاجيّة: " فوالله ما علمت على أهلي إلّا خيرًا"" أهلك وما نعلم إلّا خيرًا"،" أحمي سمعي وبصري ما علمت إلّا خيرًا"، وهو ما يجعل المسارات التأويلية التي قد تفهم بدون اشتغاله مسارًا واحدًا يرتقي بالملفوظ من السمة البلاغية الإخبارية ويسمه بالسمة الحجاجيّة وفق ما يوضّحه الملفوظان الآتيان:

1. الملفوظ الأوّل: علمتُ/نا عن أهلي/أهلكَ الخير.
2. الملفوظ الثّاني: **ما** علمتُ/نا عن أهلي/أهلكَ **إلّا** الخير.

لم يُنتج إدخال العامل الحجاجي (ما... إلا) في الملفوظ الثّاني أيّ اختلاف بينه وبين الملفوظ الأول من حيث المحتوى الإعلامي، والقيمة الخبرية التي بقيت ثابتة (معرفة خيريّة السّيدة **عائشة**)، لكن الذي تغير هو الوظيفة الحجاجية للملفوظ من خلال انحسار الإمكانات الحجاجية المتاحة، فالملفوظ الأوّل يشير إلى خيريّتها مع إمكانية اجتراحها شيئًا من الشّرّ؛ إذ يحتمل الصّيغة: "علمنا على أهلك الخير، وعلمنا الشّر"، أما الملفوظ الثاني فلا يؤشّر إلا لخيريّتها فحسب؛ فالصّيغة:" ما علمنا على أهلك إلّا خيرًا، وعلمنا الشّر" صيغة ناشزة تركيبًا ودلالةً. بالإضافة إلى ما حفلت به أقوال الشّخصيات من ملامح وإيتوسات، وعوامل حجاجية، ظهرت السّيدة عائشة بنفسها – ومن خلال سرد الأحداث التي عايشتها–بذات الإيتوس؛ إيتوس البراءة، لتدعم طرحها، وترافع من أجل قضيّتها، ولتدحض افتراءات المنافقين والطّاعنين فيها، وهو ما يشي به الملفوظ:" سُبْحَانَ الله، وَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا"[26]، فلم يكن ليدر بخلدها، ولا ليخامر عقلها وقلبها أنّ هناك من له شكّ في طُهرها وفي عفّتها؛ لذا جاءت صيغة الملفوظ منفعلةً منكرة وجود من يرتاب في أمرها من النّاس، وهي التي غطّت وجهها بجلبابها غداة لقيها صفوان بن المعطّل حين تأخّرت عن الجيش، حيث تقول" فخمَّرْتُ وجْهي بِجِلْبابي"[27]، فكيف يستقيم عقلًا ومنطقًا أن تعفّ عن الصغائر، وتجترح الكبائر؟.

لقد مثّل إيتوس البراءة المستخلص من مقولات الشخصيات الموظّفة في السّرد، ومن خطاب السّيدة عائشة بعدّها ساردًا درجة عليا من العفّة، ما كان ينبغي لمن عرف أنّها اتّصفت بها أن يرميها ببهتان عظيم كذاك الذي رميت به، خصوصًا وأنّ من اتّهم في الحادثة ذاتها قد عرف قبل الإفك أنّه صحابيّ جليل مجاهد شديد البلاء خيّر فاضل تقيّ شجاع بطل[28]، هذه الصّورة بذات الملامح هي التي يشي بيها الخطاب السّردي

في كلّ تفاصيله، سواء في شكل مقولات أو أحداث؛ فقد كان **صفوان** رضي اللّه عنه أمينًا موثوقًا استعمله **النّبي** صلّى اللّه عليه وسلّم على متاع الجيش يلتقط ما يسقط منهم ثمّ يحمله إلى العسكر فإذا عرفوه، وجاء صاحبه دفعه إليه[29]، ثم إنّه لمّا لقي **عائشة** رضي اللّه عنها استرجع[30]، وعدّ الأمر مصيبة[31] أن تتخلّف زوجة **النّبي** صلّى اللّه عليه وسلّم عن الجيش وحيدة، وهو ما يصوّر ملامح شخصيّة تقيّة، يتأكّد تقواها، ويثبت عفافها وهي تطأ يدي الرّاحلة مستديرة بظهرها، صامتة لا تنبس ببنت شفة حتّى تركب **عائشة** رضي اللّه عنها، والأكثر من هذا أن **النّبي** صلّى اللّه عليه وسلّم شهد لهذه الشخصية بالبراءة بذات الصّيغة التّي شهد بها لعائشة رضي اللّه عنها حين قال: "وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَلَيهِ إِلَّا خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي"[32] **فصفوان** رضي اللّه عنه خيّرٌ طبعًا تقيّ قطعًا، يدلّ على ذلك بناء اللّغة من خلال توظيف العامل :" ما ... إلّا"، وتواتر الأحداث الذّي واكبه تواتر في ملامح الخيريّة والبراءة، وشهادة **النبيّ** صلّى اللّه عليه وسلّم.

يمثّل الإيتوس وجه الإقناع الأوّل الذي استندت إليه السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها في بناء خطابها السّرديّ، ودرجة أولى في سلّم الحجاج، يقابله وجه آخر، وتتلوه درجة ثانية هي الباتوس، وهو: "انفعالات المخاطب أو" تأثيرات ذاك الذي يستمع (وليس قط تأثّرات الخطيب) ... (غضب/هدوء، كراهة/ صداقة، خوف/ ثقة...)"[33] وبعبارة أخرى، فالباتوس هو ضرب من التّهيئة النّفسيّة يعمد إليه السّارد لتصيير المسرود له في حالة انفعاليّة؛ فالقصد الأساس في هذا النوع من الحجج هو استمالة الأذهان، ودفعها إلى التّسليم والإذعان.

يحظى مفهوم الباتوس في خطاب حديث الإفك بمنزلة على قدر من الأهميّة؛ إذ لا يمكن عدّ مرافعة السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها من أجل بيان عفّتها مسألة خالصة الوجه للعقلانية؛ لأنها لا تكتفي بدفع التّهمة عن نفسها، وإثبات براءتها، بل

إنّها لتثير عواطف من الواجب إثارتها، من قبيل التعاطف معها والرأفة عليها، وإثارة مشاعر الخوف والرّهبة في نفوس من قذف عرضها، واتّهمها في شرفها، فضلا عن السّخط عليه، واتّخاذ موقف مناوئ له، فها هي تجيّش انفعالات المسرود لهم؛ تليّن مواقفهم، وترقّق قلوبهم، وتستدرّ شفقتهم؛ رحمة ومودّة ومواساة لها حينما عرضت نفسها في صورة الغافلة عمّا يجري حولها، وهي المقصودة بكلّ قول وبكلّ فعل، بل وأمعنت في إثارة عواطفهم حينما وصفت حالة القهر التّي كانت تتردّى فيها بعد سماع خبر طعن الطاعنين بها،" فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي"[34] . لقد تفاقم الكرب الذي حلّ بساحتها، وهي ترى نأي القريب، وهجران الحبيب على ذنب لم تقترفه، وسيّئة لم يكن لمثلها أن تجترحها، فهي لم تعد تجد اللّطف الذي عهدته من **النبيّ** صلّى اللّه عليه وسلّم، فزاد ذلك في مرارة ما تعانيه، إلى الحدّ الذي انقطع دمعها، وطار النوم عن مقلتيها ليلتين ويومًا، وكاد الحزن يشقّ كبدها، ويفطر قلبها، قالت وهي تصوّر ذلك: "فَمَكُثْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ...فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي –وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَلَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ– يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي"[35]، هذه المشاعر وغيرها تشكّل في مجملها باتوس العطف والشّفقة الذي بلغ ذروة تجلّيه في سبّ **أمّ مسطح** لابنها انتصارًا **لعائشة** رضي اللّه عنها، وفي دخول المرأة الأنصارية باكيةً، معلنة بذلك حالة قصوى من الانفعال والتّفاعل مع الحادثة. وبالإضافة إلى هذا الباتوس يمكن الوقوف عند باتوس الخوف والرّهبة، وباتوس الفرح والسّعادة وهما طبعان انفعاليان يتعلّقان بفئتين متناقضتين من المسرود لهم هما فئة الطّاعنين، وفئة المبرّئين؛ فقد عمدت السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها في خاتمة السّرد إلى حصر المواقف التّي يتبنّاها المتلقّون في موقفين موقف النّاجين من الوقوع في الطّعن، وموقف الهالكين، وهما موقفان يتجلّيان في سلوك كلّ من السّيدة **زينب بنت جحش**، وأختها **حمنة** رضي اللّه عنهما؛ ففي الوقت الذّي أمسكت فيه السّيدة زينب لسانها، واحتمت بالورع لتنجو،

خاضت السّيدة حمنة مع الخائضين، لتهلك، ويصيبها بلاء من يرمي المحصنات، تقول السّاردة: "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى اللّه عليه وسلّم سَأَلَ **زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ** زَوْجَ **النَّبِيِّ** صلّى اللّه عليه وسلّم عَنْ أَمْرِي مَا عَلِمْت أَوْ مَا رَأَيْت قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاَللَّهِ مَا عَلِمْت إلَّا خَيْرًا قَالَتْ **عائشة** وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ – صلّى اللّه عليه وسلّم – فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا **حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ** تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ"[36] هذان الموقفان يلخصان شعورين متقابلين، وعاطفتين متوازيتين عند المتلقّين؛ عاطفة السّعادة بالنّجاة من الوقوع في عرض الصّديقة، وعاطفة الخوف من الهلاك عند من اتخذ موقع الطّعن فيها، وغير بعيد عن موقف الطّعن، فإنّ المصدّق بالبراءة المنافح عن عرض الصدّيقة المعتقد ببراءتها سيتّخذ موقفًا عاطفيّا من هؤلاء الطّاعنين، هو باتوس السّخط، والغضب الشّديد لطعنهم في الجارية البريئة، فكيف إذا كانت تلك الجارية هي زوجة النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم في الدّنيا والآخرة، زوّجها إيّاه ربّ العزّة جلّ جلاله من فوق سبع سماوات؟!

**5–مراحل الإقناع في الخطاب السّردي:** جعلت البلاغة الكلاسيكيّة للقول الحجاجي مراحل خمسة يمرّ بها حتّى يحقّق الإقناع، وهذه المراحل هي: الإيجاد، والترتيب، والصّياغة، والإلقاء، والذّاكرة، والعمليات الثلاثة الأولى هي الأكثر أهمّية[37]، ولمّا كان الأمر كذلك، فإنّنا سنعمل على إجلاء هذه المراحل في سرد السّيدة عائشة إمعانًا في إثبات حجاجية الخطاب السّرديّ، وفي بحث تمظهرات الحجاج في خطاب الإفك.

**1.5 الإيجاد:** وهي مرحلة تحظى بدور حاسم ومنزلة رفيعة، بما أنّها تمثّل:" المرحلة الأولى في إعداد الخطابة؛ أي إعداد كل الوسائل الحجاجيّة التّي يمكن التّوسّل بها لأجل الحصول على الإقناع"[38] والوسائل حسب **أرسطو(Aristotle)** نوعان صناعية وغير صناعيّة "فأمّا التّصديقات فمنها بصناعة، ومنها بغير صناعة، وقد أعني باللّاتي

بغير صناعة تلك اللّاتي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدّمة، كمثل الشّهود والعذاب، ... وأمّا اللاتي بالصّناعة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة أو بأنفسنا"[39] وهذه الوسائل منها ما هو عقلي لا دور للخطيب/ السّارد فيها، كالشّهود والعقود والاعترافات والقسم...، ومنها ما هو عاطفي يتعلّق بالخطيب وكلّ ما يحيط بالخطاب السّرديّ، كأخلاق الخطيب/ السّارد، وانفعالات المسرود لهم/ الباتوس.

لقد حرصت السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها–في سبيل إثبات براءتها– على حمل المسرود لهم على تقبّل حجّية سردها، وهذا ما أظهره وجود مختلف الأساليب الإقناعيّة؛ العقليّة والعاطفيّة؛ حيث ظهرت بمظهر البراءة، وأثارت باتوسات العطف، والرّقة، والخوف والسّخط كما سبق بيانه، وبالإضافة إلى هذه الحجج المتعلّقة بأهواء المسرود لهم، تضمّن الخطاب السّردي لحديث الإفك حججًا منطقيّة، في صورة الشّهود الذين أدلوا ببراءة الصّدّيقة، وأوّلهم **النّبي** صلّى اللّه عليه وسلّم، **زينب بنت جحش، أسامة بن زيد، علي بن أبي طالب، بريرة** رضي اللّه عنهم، فضلا عن أساليب أخرى كالمثل، والقياس المضمر التّي سيأتي بيانها في مواضعها.

**2.5 الترتيب:** بعد مرحلة الإيجاد تأتي مرحلة التّرتيب، وهي مرحلة يصفها البلاغيون "بكونها فنًّا لتنظيم الحجج، أو تجميعها وفق تصميم خاصّ معدّ سلفًا"[40] بمعنى أنّ على الخطيب أن يصوغ حججه وفق بناء منظّم ونظام محكم يحقّق للحجج قوتها وفعاليتها؛ لأنّ" الحجّة وحدها لا يمكن أن تكون فعّالة لمجرّد أنّها حجّة جيّدة، بل ينبغي بالضّرورة، لكي تكون فعّالة حقًّا أن تصاغ الصّياغة المناسبة"[41] وهذا الأمر هو شأن التّرتيب، الذّي جعلت له البلاغة الكلاسيكيّة تصميمًا معياريًّا افتراضيًا هو أكثر التصاميم استخدامًا، ويقوم على:

**1.2.5 الاستهلال:** هو أول جزء يطالع المتلقّين، ويقرع أسماعهم، وبه يفتتح الخطاب، فهو" إذن، مبدأ الكلام، ويناظره في الشعر المطلع، وفي فن العزف على النّاي

الافتتاحيّة، فتلك كلّها بدايات كأنّها تفتح السّبيل لما يتلو"[42]، ويتقصّد الاستهلال الاستحواذ على انتباه السّامع بالتّهيئة ودفعه للانقياد، وحمله على قبول ما سيعرض عليه من كلام، "وعادة ما تتبع هذا المقطع دفوعات لاعتراضات ممكنة أو محتملة"[43]

استهلّت السّيدة **عائشة** خطابها السّردي بسرد طائفة من الأحداث تتعلّق بالكيفيّة التّي دأب **النّبي** صلّى اللّه عليه وسلّم على إجرائها لاختيار من ترافقه من زوجاته إذا ما خرج إلى الغزو؛ حيث:" كَانَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللّه عليه وسلّم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلّى اللّه عليه وسلّم مَعَهُ، قَالَتْ **عائشة:** فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلّى اللّه عليه وسلّم"[44] لقد مثّلت تلك الأحداث الاتّصال الأوّل مع المسرود لهم، اتصالًا يوطّئ لاستمالتهم وجرّهم لاقتفاء المسار السّردي الحجاجي الذّي ترسمه السّاردة؛ لذلك سعت منذ البداية إلى كسب المسرود لهم لصالح أطروحة البراءة التي تدافع عنها؛ وذلك من خلال دفع كلّ الأطروحات التّي من شأنها أن تعترض على القضّية الموضوعة قيد الدّفاع، فقد أظهرت الأحداث أن خروجها مع النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم لم يكن مع سابق إصرار وترصّد، ولا بنيّة غير بريئة مبيّتة، بل كان حظًّا أصابتها به القرعة، كان يمكن أن يصيب زوجة أخرى من زوجات النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم.

**2.2.5 السّرد:** "هو عرض الوقائع الخاصّة بالقضيّة عرضًا موضوعيًّا ظاهريًّا، ومع ذلك موجّه دائمًا حسب حاجات الاتّهام أو الدّفاع... ولأجل أن يكون ناجحًا فعّالًا، وجب أن تتوفّر فيه ثلاث صفات: الوضوح، والإيجاز والمصداقيّة"[45]، وبهذا التّصوّر، وبهذه الشّروط يغدو السّرد في الخطاب الحجاجي الرّكن الرّكين، والأساس المتين؛ لأنّه وإن كان من الممكن الاستغناء عن الاستهلال والخاتمة في بعض الأنواع الخطبيّة، فإنّه من غير الممكن الاستغناء عن السّرد، بحكم أنه ميدان الحجاج، بالادّعاء والإبطال،

بالاتّهام وبالدّفاع وفق ما يقرّره **أرسطو(Aristotle)** بقوله:" أمّا الاستهلال والمناقشة بالتّساجل والتّكرار بإيجاز لما قيل، فإنّها لا توجد في خطب المحافل إلّا إذا كانت ثمت مناظرة ... أمّا الخاتمة فلا تدخل في كلّ نوع من أنواع الخطب القضائيّة"[46]، وفضلًا عن هذا فإنّه قد" يرتبط بالجزء الموالي[الدّليل/ الإثبات] فيكونان قطعة واحدة"[47]

لقد حرصت السّيدة **عائشة** في سردها أشدّ الحرص على نقل الأحداث التّي لا تتناقض مع شخصها، ولا مع الإطار المكاني ولا الزّماني الذّي جرت فيه الأحداث، لقد كانت حريصة وبعناية على الابتعاد عن كلّ تناقض، وعن كلّ ادّعاء يمكن أن يدحضه شاهد ما، فكان خطابها السّردي، محكم السّبك، سلس الحبك، تنتظم فيه الأحداث انتظامًا منطقيًّا، فتستند النتائج إلى مقدّماتها والمسبَّبات إلى أسبابها، دون إطناب أو تفصيل لا حاجة للسّرد به، أو لا مساهمة له في تقوية أطروحة البراءة؛ فالأحداث والوقائع في السّرد الحجاجيّ –على ما أسلفنا–حجج وليست أحداثًا فحسب.

بدأت أحداث القصّة بواقعة القرعة التّي أسفرت عن خروج السّيّدة **عائشة** رضي اللّه عنها مع **النّبيّ** صلّى اللّه عليه وسلّم إلى الغزوة، ثمّ تتابعت الأحداث حتّى الحدث الأخير وهو هلاك **حمنة بنت جحش** رضي اللّه عنها لوقوعها في عرض الصّديقة، وتناولها إياها بالسّوء، وبين هذين الحدثين الرئيسين تواترت الأحداث ضمن مسار دراميّ خطّي، وتتابعت الوقائع تتابعًا زمنيًّا، مع لجوء وحيد لاستحضار حدث ماضٍ كان على لسان **بريرة**، وكان بمثابة الحجّة على براءة السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها، وهذا الحدث هو نوم السّيّدة عن العجين؛ لتأتي الدّاجن وتأكله. لقد توالت الأحداث وكانت أسبابًا ونتائج لبعضها؛ فخروج السّيدة كان لصدور سهمها في القرعة، ولو لم تصبها القرعة لما خرجت، وركوبها الهودج كان بعد نزول آية الحجاب، ولولا ذاك لما ركبته، أمّا مجاوزتها لمحيط الجيش فكان لقضاء حاجتها، وتكرارها لحدث الخروج عن منازل الجيش كان بسبب فقدها للعقد، وعدم انتباه الرّهط الذّين يحتملون الهودج لغياب السّيدة،

كان بسبب أنّ الغزوة كانت بعد نزول الحجاب فلم يكن ممكنا الاطّلاع على مَن في الهودج أوّلاً، ولأنّ السّيّدة جارية صغيرة، ولأنّ النّساء إذّاك كنّ خفافًا لم يمتلئن لحمًا، لأنّهن كنّ يأكلن من اللّقم ما يقيم أصلابهنّ، قالت السّاردة مصوّرة هذا التسلسل السّببيّ للأحداث:" فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلّى اللّه عليه وسلّم بَعْدَمَا نَزَلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيه، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللّه عليه وسلّم مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا"[48] وفي غمرة هذه الأحداث المتدفّقة وغيرها ممّا جاء بعدها اكتفت السّيّدة بالظّروف التي تزيد سردها/ قضيّتها وضوحًا وبذلك تحقّقت شروط الوضوح والإيجاز والصّدق؛ فحتّى وإن لم يكن من داعٍ لذكر حال النّساء وقلّة طعامهن، وتعثّر **أمّ مسطح** في ثوبها، وعدم نوم الصّدّيقة ليلتين ويومًا، وإلّا أنّ هذه التفاصيل تزيد القضيّة وضوحًا، وتجيب عن استشكالات قد تطرأ على ذهن المسرود له وهو يتلقّى السّرد، وبهذا فإنّ الحجّة – تبعًا لذلك– ستزداد قوّة، والقضيّة إقناعًا وتثبيتًا.

يختصّ السّرد –بالإضافة إلى شروط الوضوح، والإيجاز والمصداقيّة– بجملة خصائص يؤدّي التزام الخطيب/ السّارد بها إلى الرّفع من الإمكانات الحجاجيّة لخطابه السّردي، ومنها عرض الأحداث المسرودة بشكل متدرّج، يقول **أرسطو(Aristotle):** "وأمّا الاقتصاص فيكون في المترائيات، وليس على النّسق ولكن جزءًا جزءًا"[49] ومعنى هذا أنّنا وفي ثنايا السّرد نمازج بين أنماط متعدّدة، إنّنا "نعمد إلى التّفصيل أو الوصف

حيث لا يلعب الزّمن أيّ دور، ويكون الهدف هو وصف الشّيء ضمن حيّز مكانيّ، ونعمد إلى السّرد أو الحكي حيث يلعب الزّمن دورًا أساسيًّا في القضيّة المعروضة؛ حيث نتحدّث عن الأحداث أو الأشياء باعتبار توزّعها الزّماني"[50].

إنّ الحديث عن الوصف في الخطاب السّردي مسوّغ لبحث كيفية اشتغال تقنية الوقف الوصفي حجاجيًّا، بعدّها إحدى تقنيات الإيقاع الزّمني في الخطاب السّردي، فالوقفة أو الاستراحة تقتضي عادة انقطاع السّيرورة الزّمنيّة وتعطيل حركتها نتيجة توقّفات معيّنة يحدثها السّارد؛ توقّفات وقتية يرى من الصّالح توفير معلومات عن الإطار الذي ستدور فيه الأحداث أو زمانها أو شخصياتها قبل الشّروع في سرد ما[51]

ورد الوصف في مفاصل متعدّدة من خطاب حديث الإفك، ومن ذلك:

1. " فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا"[52]

2. " فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلّى اللّه عليه وسلّم **عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**"[53]

3. " فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ، وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ"[54]

4. "حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ"[55]

يتضمن كلّ ملفوظ من الملفوظات السابقة وقفة وصفية تشمل صنفًا من الأصناف الوصفيّة المختلفة، "وهي وصف الأشخاص "من؟" وصفًا جسديًّا بروسوبوكرافيا ومعنويا إيتوبيا ووصف الأماكن توبوكرافيا "أين؟" ووصف الزّمن كرونوكرافيا، "متى؟""[56]. لقد جاءت كل وقفة من الوقفات السّابقة بين حدثين متوالين لتظهر بشكل واضح تعطيل المسار الحجاجي السّردي لصالح الوصف منظورًا إليه من

زاوية إقناعيّة، فـ" الوصف تابع لغاية الإقناع، ولهذا فالغرض هنا ليس تقديم تحديدات دقيقة مستقلّة عن هوى المتلقي والمتكلّم ولكنّه وصف تابع لغاية ذات مساس بمعتقدات المتكلم"[57].

لم تكن الأوصاف ولا الوقائع الموصوفة في الملفوظات السّابقة منفصلة عن رغبة السّيدة عائشة في إثبات قضيّة البراءة، ففي الملفوظ الأوّل وصف ظاهريّ للسّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها يبيّن هيئتها ويبرّر سبب عدم إدراك حملة الهودج غيابها، فهي جارية حديثة السّن خفيفة تأكل العلقة من الطعام شأنها شأن كلّ النسوة في زمانها، وفي الملفوظ الثّاني وصف معنويّ لحالة القهر واحتراق الجوف التي كانت السّيدة تصلى نارها؛ إذ لم يكن لها أن تحسّ بذاك القدر من الألم والمرارة لو لم تكن بريئة اتهمت، وغافلة رميت، فضلا عن أنّ أولئك الذّين يبتدئون بإفاضة الدّموع يثيرون من يرونهم "فإذا رأوهم بهذه الحال تعطّفوا عليهم"[58]،في حين أن في الملفوظ الثّالث، وصفا لمنازل الجيش بعد الرّحيل، فالمنازل خاوية على عروشها ليس فيها أحد، ووجود جارية حديثة السّنّ وحيدة في ليلٍ أليل مدعاة لإثارة مشاعر العطف والشّفقة عند المسرود لهم، أمّا الملفوظ الرّابع ففيه وصف للزّمان، زمانِ وصول السّيدة **عائشة** إلى منازل الجيش الجديدة، فقد كان الزّمان نهارًا في صدر وقت الظّهر وهو زمان لا يطلبه المريب، ولا يتقصّده من أقدم على ما يُشنّع به.

الحاصل إذن، أنّ أوصاف الزّمان والمكان والشخصيات ببعديها الجسديّ والمعنويّ جرى توظيفها في السّرد حججا لبيان براءة الصّديقة **عائشة** رضي اللّه عنها.

**3.2.5 الدّليل:** على الرّغم من أنّ البنية الافتراضية للخطاب الحجاجي حسب التّصوّر الكلاسيكي تفترض بعد مرحلة السّرد مرحلة الدّليل(الإثبات) إلّا أن للخطاب السّردي الحجاجي خصوصيّة تجعل من تينك المرحلتين مرحلة واحدة مدمجة،" شأن كلّ وصلة

فيه أن تشكّل دليلًا"[59]، وهذا لأنّه" ليس يهمّ كثيرًا بأيّ تنظيم يبلغ اللّواء والخطيب أهدافهما بل المهم أن يبلغاها"[60]، ومع ذلك فمرحلة الدّليل هي المرحلة التّي يدلي فيها السّارد بالحجج والبراهين الدّاعمة للقضيّة التّي ينافح عنها؛ تبكيتًا أو استدلالًا،" إنّه هاهنا يعلن عن الحجج المصاغة أثناء فترة الابتكار(الإيجاد)"[61] إمّا بالانطلاق من الحجج الأشدّ قوّة إلى الأشد ضعفًا، أو العكس، أو اللّجوء إلى نسق مختلط من الحجج الحاسمة حسب شيشرون.[62]

إنّ النّظرة الشّاملة للواقعة السّردية التيّ يصوّرها خطاب حديث الإفك تكشف وبوضوح القيمة الاستدلالية لهذا الأخير؛ فالخطاب برمّته يمثّل حجّة مثال تاريخيّ تؤسّس لأطروحة براءة الصّديقة، وتساهم في دعمها عند المسرود لهم، وفي ثنايا السّرد تلاحقت الحجج في تسلسل فسيفسائي جمع بين الحجج الصّناعية، وغير الصّناعية، بين الحجج الذّاتيّة النّفسيّة، وبين الحجج المنطقية الموضوعية، بين الحجج الاستقرائية، وبين الحجج الاستنباطيّة، بين الحجج الاستدلالية والتّفنيدية.

لقد كشف التّحليل في جزئه السّابق بعضًا من هذه الحجج، وبيّن مواضعها، فمن الحجج غير الصّناعيّة الجاهزة شهادات الشّهود ببراءة السّيّدة **عائشة**، وهم **النّبيّ** صلّى اللّه عليه وسلّم، **أسامة بن زيد، بريرة، زينب بنت جحش** رضي اللّه عنهم، ومن الحجج الصّناعية المصطنعة نوعان من الحجج؛ نوعها الأوّل الحجج النّفسية، متمثلة في إيتوس البراءة الذي تمثّلته السّيدة، وفي باتوسات العطف، والخوف والرّهبة التي سعت لإثارتها في المسرود لهم، أما النّوع الثّاني فهو الحجج المنطقيّة الموضوعيّة، وتتضمّن حجّتيّ المثال والقياس المضمر؛ حيث ظهرت الأولى في استذكار السّيدة عائشة لموقف تاريخي مشابه لموقفها وهو موقف **يعقوب** عليه السّلام مع أبنائه حيث قالت:" وَاللهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ قَوْلَ **أَبِي يُوسُفَ** قَالَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}"[63]، فالصّدّيقة وهي تسترجع هذا الموقف تستعيد معه سياقًا تاريخيًّا

يشكّل حالة من اتّصال الدّمع والقهر والأسى، ليس لمن يتلقى سردها قدرة على تخيّل قدره وحدّته إلّا باستحضار صورة **يعقوب** عليه السّلام الذّي بلغ به الكمد والحزن أن ابيضّت عيناه وفقد بصره.

إنّ المثال الذي ساقته السّيّدة لا يقتصر على حالة الأسف والأسى التّي تعيشها، بل يمتدّ ليشمل بنية الأحداث والوقائع، فقد كُذب على **يوسف** عليه السّلام كما كُذب عليها وهي بريئة، وكانت مصيبة **يعقوب** عليه السّلام في يوسف عليه السّلام عظيمة لمكانته عنده، كما كانت مصيبتها عظيمة حيث فقدت محبّة **النبيّ** ولطفه وهو من هو بالنّسبة إليها!

يعدّ القياس المضمر رأسا في صنف الحجج الاستنباطيّة، وهو يعرّف بكونه قياسًا بلاغيًّا مبنيًّا على مقدّمتين ونتيجة[64] و"يمكننا أن نحذف إحدى المقدّمتين المنطقيّتين أو النتيجة"[65] لبداهتهما أو سهولة الظّفر بهما حتّى عند تلك الجماهير ضعيفة العقول والعاجزة عن متابعة التّسلسل المنطقي في صرامته، و"بمقتضى هذا الأصل فإنّ القياس الإضماريّ يزوّد بالإقناع".[66]

تضمّن خطاب السّيدة **عائشة** السّرديُّ جملة من المضمرات ترافع جميعها لأطروحة البراءة، ومنها قول أمّها **أمّ رومان:**" لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا"[67]، وقولها: "وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى"[68].

يؤسس الملفوظان أعلاه للمضمرين الآتيين:

المقدّمة الكبرى: النّاس والضّرائر يتكلّمون في شأن الزّوجة المحظيّة عند زوجها بما لا يليق.

المقدّمة الصّغرى: النّاس يتكلّمون في شأن **عائشة** بما لا يليق.

النتيجة: **عائشة** رضي اللّه عنها زوجة محظيّة.

المقدّمة الكبرى: منزلة من أنزل في شأنه وحي ببراءته عظيمة.

المقدّمة الصّغرى: أنزل في **عائشة** وحي ببراءتها.

النّتيجة: منزلة **عائشة** رضي اللّه عنها عظيمة.

يتضمّن الملفوظ الأوّل بيانًا لبراءة السّيدة **عائشة**، بينما يتضمّن الثّاني بيانًا لمنزلتها وعظيم قدرها رضي اللّه عنها، وفي كلا الملفوظين حذف، الأوّل حذفت فيه النّتيجة وترك للمسرود حرّية استخلاصها، وفي الثّاني حذف للمقدّمة الكبرى؛ لأنّها بديهيّة معروفة.

**4.2.5 الخاتمة:** الخاتمة هي فرصة الخطيب الأخيرة من أجل التّأثير في السّامعين، فهي آخر ما يعلق بآذانهم وأذهانهم، وبها يكون الحكم على نجاعة الخطاب من عدمه؛ لذا على الخطيب أن يكون حاسمًا في اختيار ألفاظه، بارعا في أسلوب الذّي يعرض به أطروحته.

جاءت خاتمة خطاب الإفك رصينة منظّمة منسجمة مع الإطار الطبيعي الذّي رسمته البلاغة الأرسطيّة، والذّي يتضمن أمورًا أربعة، أوّلها: إثبات صحّة القول حتّى يميل المستمع إلى الخطيب، وثانيها: تفخيم الشّيء المتكلّم فيه، وثالثها: إثارة الانفعالات النفسيّة عند المستمع(69)، وأمرًا رابعها هو التلخيص الجامع، فتضمّنت الخاتمة توظيفًا للشّاهد القرآني الذّي أعلن البراءة، وهذا أعلى إثبات على صدقيّة الصّديقة، وبطلان مزاعم أهل الإفك، كما تضمّنت إعلاءً من قدر الصّديقة ومنزلتها؛ حين أنزل فيها قرآن يتلى إلى قيام السّاعة، وبعد أن ظهرت وقائع الاتهام وأحداثه في السّرد، جاءت الخاتمة لتركّز على خطورة الواقعة فقد بيّنت الآيات التّي استندت إليها السّاردة أنّ اتّهام الصّديقة إفك مبين، وبهتان عظيم، وكذب على المؤمنين وقد توعّد اللّه من تولّاه بالعذاب الشّديد، وهذا الأمر مدعاة لإثارة انفعالات الخوف عند الخائضين في الأعراض دون بيان،

ومسوّغ لإثارة انفعالات العطف والشّفقة على الصّديقة، فضلا عن إثارة مشاعر الفرح بلقيا كلّ فاعل جزاءه.

**6–الصّياغة:** تمثّل مرحلة الصّياغة المرحلة الثّالثة من مراحل بناء الخطاب الحجاجي، وفيها يتمّ الانتقال من بلاغة الحجاج إلى بلاغة التّصويرات والأساليب؛ وعليه فالصّياغة بهذا التّصوّر تعني:"مجموع التّقنيات المرتبطة بالخطاب ودراسة الأسلوب" [70]

حفل خطاب الإفك بورود كمّ من التّصويرات المتنوعة في صورة الكناية في مثل قول السّاردة: "غَلبَتنِي عَينِي"[71] والتّشبيه في قولها:" حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ"[72] والطّباق في قولها:" وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ "[73]، ولئن كان الوجه الحجاجي لهذه الصّور مقصودًا إلّا أنّ الجهد في هذه الوصلة البحثيّة سينصرف للتّصويرات التّي لها وجه تعالق مع الخطاب السّرديّ؛ حيث سيكون مدار الأمر على الحذف، وعلى الإيجاز بعدّهما تقنيتين من تقنيات رصد الإيقاع الزّمني للخطاب السّردي، فالحذف يقابل الإضمار وهو الجزء المسقط من السّرد، والذّي يلجأ إليه الرّوائيون ليتجاوزوا بعض المراحل والتّفاصيل الجزئيّة من القصّة دون الإشارة إليها بشيء[74]، وقد يكون القطع محدّدا كقول السّاردة: "فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا"[75]، وقولها:" فَمَكُثْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي –وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَلَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ "[76]وقد يكون غير محدّدٍ كقولها: " وَلَا أَشْعُرُ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ"[77]، أمّا الإيجاز فيقابل المجمل ويمكن تسميته بالقصّة الموجزة؛ حيث يختزل فيه الرّاوي أحداثاً ووقائع يُفترض أنّها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات في صفحات أو أسطر قليلة، دون التّعرّض للتّفاصيل[78]، ومثاله قول السّاردة:" فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللّه عليه

وسلّم مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ"[79] وقولها:" فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ".[80]

يحقّق كلّ من الإضمار والمجمل مظهرًا من مظاهر السّرعة أثناء عرض الوقائع السّرديّة من خلال إلغائه للتّفاصيل الجزئيّة، هذا النّسق يؤدّي إلى تقلّص في الخطاب السّردي على مستوى النّصّ، وهو ما يمكّن من الانتقال من المشهد إلى المشهد الموالي، أمّا على المستوى التّداولي فإنّ الإضمار/ المجمل يتيح الفرصة للمتلقّي ويفسح المجال أمامه واسعًا للتّأويل، إنّه" يدع للسّامع أمر استرجاع الرّباط الغائب، الأمر الذّي يشركه، ويجعله شريكًا للخطيب، رغم تردّده وتحفّظه"[81]

لقد حفل خطاب حديث الإفك خلال سيرورته السّردية بورود مقاطع تتضمّن الإضمار/ الإجمال في صورة النّماذج المساقة آنفًا؛ ففي الأنموذج الأوّل ألغت السّاردة الأحداث التّي وقعت طيلة شهر كامل بعد قدومها المدينة، وفي الأنموذج الثّاني صوّرت حالة القهر التّي كانت تعايشها، فهي التّي سحّت دمعًا لم ينقطع ليلتين ويومًا، ولا شكّ أنّ في ذلك الشّهر، وفي تينك اللّيلتين وفي ذلك اليوم أحداث نأت السّاردة عن ذكرها؛ إمّا لأنّها تفاصيل لا تغني الحركيّة السّرديّة بشيء، وإمّا لتنصّب نفسها في موضع تعاطف يدفع بالمتلقّين للانخراط في أطروحة البراءة دون أن يشعروا بذلك؛ ذلك أنّ المريض الغافل عن الأحداث التّي يعدّ أوّل معنيٍّ بها والباكي قهرًا ليلتين ويومًا أحرى بنيل التّعاطف والإحساس بالشّفقة، وما يقال عن الإضمار بصورته المحدّدة يقال عن الإضمار بصورته غير المحدّدة، فالسّاردة الغافلة عمّا يجري حولها من أحداث لم تشعر بما تلوكه عنها الألسن ممّا سمّته شرّاً حتّى أوشكت أن تشفى، فكان ذلك سببا ليتعاظم بلاؤها، ويزيد مرضها شدّة، والآتي أن يزيد شعور المسرود لهم عطفًا ورأفة ورقّة.

مثّل تقديم السّاردة أحداث الغزوة، وأحداث لحاقها بالجيش مع **صفوان بن المعطّل** رضي اللّه عنه تلخيصًا لأحداث لو شاءت لجعلت منها سرودًا مستقلّة لوحدها؛ وذلك بذكر كلّ التفاصيل، ولكنّها قلّصت الأحداث بهذا الشّكل المكثّف والمركّز لعدم الحاجة إليها في بناء سرديّة البراءة أوّلًا، ولإظهار مدى السّرعة في السّرد والتّي جاءت متوافقة مع أحداث الغزوة الحقيقيّة (المتن الحكائي) منذ بدايتها وحتّى نهايتها فقد "ندب [الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم] الصّحابة، وأسرع في الخروج"[82] لقتال **بني المصطلق**، ثمّ ما لبث أن أغار عليهم وهم غارّون على الماء فسبى ذراريهم وأموالهم،[83] هذا بالنسبة لحدث الغزوة، أمّا أحداث قدومها المدينة فقد جاءت مختصرة؛ لتدع للمسرود لهم مسؤولية إتمامها فتفاعل الخائضون في الأعراض مع الأحداث بما يوافق هوى في أنفسهم، وتأوّل الممسكون ألسنتهم انطلاقًا من قانون الإيجاز القاضي بأنّ "الحاجة للإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه"[84]، لقد قدمت السّيدة **عائشة** المدينة و**صفوان بن المعطّل** رضي اللّه عنهما، ولم يكلّمها ولم تكلّمه، بله أن تقع بينها أحداث منكرة، فالسّاردة اختصرت مسيرتها على المدينة لعدم وجود أحداث ذات بال تسهم تنامي البناء السّردي، وفضلا عن هذا فإنّ خطاب حديث الإفك ولكونه خطابا شفويًّا يواكب اختفاؤه عمليّة إنتاجه، يواجه خطري النّسيان وعدم الانتباه؛ لذا كان على السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها–بعدّها ساردة– أن تواجه هذا الأمر عن طريق إجراءات بلاغيّة أوّلها الإيجاز.

**7–الخاتمة:** لقد أفضى التحليل البلاغي الحجاجي لخطاب السّرد الذّاتي في الحديث النبوي وتلقّيه التّداولي إلى الوقوف عند جملة من النتائج يمكن تلخيص أهمّها كالآتي:

السرد الذّي يتقصّد من ورائه السّارد التأثير في المسرود لهم، ودفعهم لاتخاذ موقف معين، أو سلوك محدّد هو سرد حجاجيّ، يواكب تطور الأحداث فيه وتناميها، تنامٍ للحجج والتّصديقات.

خطاب حديث الإفك خطاب ينتمي إلى صنف السّرد الكلاسيكي وهو سرد حجاجيّ، وذو طاقة غاية في الإقناعيّة، بحكم وروده ضمن موقف تواصليّ واقعيّ، محسوس.

خطاب حديث الإفك خطاب بالغ في الإقناعيّة بحكم انبنائه وفق التّصميم الافتراضي الذّي صاغته البلاغة الكلاسيكيّة؛ فمراحل القول الخطابي موجودة كلّها فيه.

أثبتت تفاصيل البحث ألّا أصل للمطاعن التّي تناولت عرض السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها إنّما هي تأوّلات طاعنين، وتخرّصات مدّعين أخذوا زمام المشاركة في صناعة الأحداث فصوّروا ما لم يقع في صورة الواقع وغير الممكن في صورة الممكن، لهوى في أنفسهم.

شهد خطاب حديث الإفك مزاوجة بين مختلف الأساليب الإقناعيّة العقلية والعاطفيّة، وتوزيعًا فسيفسائيًّا للحجج والتّصديقات التّي أثبتت براءة السّيدة **عائشة** من وجهة نظر بلاغيّة حجاجيّة محضة.

نجحت السّيدة **عائشة** رضي اللّه عنها في إثبات براءتها ودحضّ ادّعاءات من تناولها في عرضها بالاستعانة بالسّرد منظورًا إليه من زاوية تعنى بالحجاج.

يفتح تحليلنا هذا لحديث الإفك الباب واسعًا من أجل المزيد من التحليلات التّي تتّخذ النّصوص الشّرعيّة؛ قرآنًا وحديثًا، والتراثيّة؛ شعرًا ونثرًا مدوّنات تستثمر فيها مختلف طرائق التّحليل المعاصرة من أجل الوقوف على تفاصيلها، وسبر أغوار معانيها، كما يفتح الباب لتحليل هذا الحديث تحليلًا مقارنًا مع آيات القرآن الكريم التي تناولت القصّة، أو مع روايات أخرى للحادثة تناولتها كتب فرق وطوائف أخرى، وبهذا يوصي البحث.

**8- قائمة المصادر والمراجع:**


1. أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، ج:06، بيروت، لبنان، 1991.
2. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسّسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، 2010.
3. أبو هلال العسكري، الصناعتين، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1998.
4. أرسطوطاليس، الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، 1979.
5. أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبة، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2017.
6. تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005.
7. جميل شاكر، وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظيرة القصة–تحليلًا وتطبيقًا، مشروع النّشر المشترك، تونس، 1985.
8. حميد الحميداني، بنية النّص السّردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991.
9. رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011.
10. صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، دار البصائر، الجزائر، 2010.
11. صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، ج:16، 2000.

12.عبد الهادي ين ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ليبيا، 2004.

13.عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر، صفاقس، تونس، 2001.

14.محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربيّة وغربية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2022.

15.محمد بن أبي بكر التلمساني، الجوهرة في نسب النبيﷺ وأصحابه العشرة، دار الرفاعي، ج:1، الرياض، 1983.

16.محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الرشيد للكتاب، باب الوادي، الجزائر، 2003، رقم الحديث: 4750.

17.محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية، والمنطقية، واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

18.محمد مشبال، الحجاج والسّرد "نحو مقاربة حجاجية للأدب"، https://www.youtube.com/watch?v=bUVwt49ICf4&t=1383s

19.محمد مشبال، السّرد والحجاج، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج:04، 2010.

**9- الهوامش والإحالات:**

---

(1) ينظر: محمد مشبال، الحجاج والسّرد "نحو مقاربة حجاجية للأدب"، https://www.youtube.com/watch?v=bUVwt49ICf4&t=1383s شوهد يوم 29-07-2023 على السّاعة: 17:46.

(2) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسّسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، 2010، ص:37.

(3) جميل شاكر، وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظيرة القصة–تحليلًا وتطبيقًا، مشروع النّشر المشترك، تونس، 1985، ص110.

(4) محمد مشبال، السّرد والحجاج، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج:04، 2010، ص: 363.

(5) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية، والمنطقية، واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص: 20.

(6) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة: عمر أوكان، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2011، ص: 134–135.

(7) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص: 134.

(8) ينظر: محمد مشبال، الحجاج والسرد "نحو مقاربة حجاجية للأدب"، مرجع سابق.

(9) ينظر: صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، دار البصائر، الجزائر، 2010، ص: 290.

(10) بحكم أن الواقعة حدثت في السنة الخامسة للهجرة، وعروة لم يولد إلا في السنة الثانية والعشرين هجرية.

(11) ينظر: تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص: 71.

(12) المرجع نفسه، ص: 74.

(13) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص:124.

(14) أرسطوطاليس، الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ودار القلم، بيروت، 1979، ص:81.

(15) صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، ج:16، 2000، ص: 342–343.

(16) أرسطو، الخطابة، مصدر سابق، ص:10.

(17) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار الرشيد للكتاب، باب الوادي، الجزائر، 2003، رقم الحديث: 4750، ص: 997.

(18) السّابق، ص: 998.

(19) المصدر نفسه، ص: 997.

(20) المصدر نفسه، ص: 998.

(21) المصدر نفسه، ص: 999.

(22) المصدر السابق، ص: 998.

(23) المصدر نفسه، ص: 998.

(24) ينظر: عبد الهادي ين ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب–مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ليبيا، ص: 520.

(25) عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر، صفاقس، تونس، 2001، ص: 35.

(26) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ص: 997.

(27) المصدر نفسه، ص: 997.

(28) محمد بن أبي بكر التلمساني، الجوهرة في نسب النبي□ وأصحابه العشرة، دار الرفاعي، ج:1، الرياض، 1983، ص:377.

(29) ينظر: أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، ج:06، بيروت، لبنان، 1991، ص: 437.

(30) قالت عائشة9:"فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ" الحديث.

(31) مصداق ذلك قوله تعالى:" الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّه وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" البقرة:156.

(32) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 998.

(33) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص: 125.

(34) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 997.

(35) المصدر نفسه، ص: 998.

(36) المصدر السّابق، ص: 999.

(37) ينظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص:85.

(38) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربيّة وغربية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2022، 42.

(39) أرسطو، الخطابة، ص: 09.

(40) محمد طروس، النظرية الحجاجيّة، ص: 20

(41) محمد الولي، الاستعارة، ص:70.

(42) أرسطوطاليس، الخطابة، ص: 130.

(43) محمد طروس، النظرية الحجاجيّة، ص: 20.

(44) محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 996.

(45) أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبة، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2017، ص: 84.

(46) أرسطوطاليس، الخطابة، ص:229.

(47) محمد طروس، النّظرية الحجاجيّة، ص: 20.

(48) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 296–297.

(49) أرسطوطاليس، الخطابة، 237–238.

(50) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربيّة، ص: 57.

(51) ينظر: جميل شاكر وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظرية القصة، ص: 80 وما بعدها.

(52) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 997.

(53) المصدر نفسه، ص: 997.

(54) المصدر نفسه، ص: 997.

(55) المصدر نفسه، ص: 997.

(56) محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص: 179.

(57) المرجع السابق، ص: 178.

(58) أرسطوطاليس، الخطابة، ص: 243.

(59) أوليفي روبول، مدخل إلى الخطابة، ص: 86.

(60) المرجع نفسه، ص: 86.

(61) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص: 136.

(62) محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص: 21.

(63) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 298.

(64) ينظر: رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص: 97.

(65) المرجع نفسه، ص: 98

(66) المرجع نفسه، ص: 97.

(67) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 997.

(68) المصدر نفسه، ص: 998.

(69) أرسطوطاليس، الخطابة، ص: 252.

(70) محمّد طرّوس، النظريّة الحجاجيّة، ص: 22.

(71) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 997.

(72) المصدر نفسه، ص: 999.

(73) المصدر نفسه، ص:997.

(74) حميد الحميداني، بنية النّص السّردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1991، ص: 77.

(75) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 997.

(76) المصدر نفسه، ص:998.

(77) المصدر نفسه، ص:997.

(78) حميد الحميداني، بنية النص السّردي، ص: 75.

(79) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص: 997.

(80) المصدر نفسه، ص: 997.

(81) أوليفيي روبول، مدخل إلى الخطابة، ص: 155.

(82) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، ص: 286.

(83) المرجع نفسه، ص:287.

(84) أبو هلال العسكري، الصناعتين، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،1998، ص: 190.